مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة

العدد الخامس

1988م.

- المعارف اللازمة للداعية
- المحاولات الإستعمارية لتقويض الإسلام في الجزائر
- منهج الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي
- الفكر التربوي بين الأصالة والتغريب
- جامعة الزهراء جامعة علمية يخسرها العالم الإسلامي

المعارف اللازمة للدّاعية

الدكتور: عمر بشير الطويبي

يعتقد بعض المهتمين بشؤون الدعوة الإسلامية أنه يكفي الداعية معرفة بأحكام الدين الإسلامي ليكون ناجحاً في نشر الإسلام، وتعريف الناس به، وترغيبهم للإعتقاد فيه. غير أنه بالتحليل والتأمل يتضح قصور هذا الإعتقاد ومجانبته الصواب إلى حد كبير. ذلك أنه بتحديد عمل الداعية يتبين أن هناك أبعاداً متداخلة في عملية الدعوة تتناول جوانب فكرية وشخصية واجتماعية وسلوكية مما يتطلب إعداداً معيناً، ومعارف ضرورية لازمة ليكون الداعية متمكناً من دوره. ويتناول هذا المقال إلقاء الضوء على الأبعاد المتصلة بالدعوة والمعارف التي تغطي هذه الأبعاد.

وتجدر الإشارة في بداية الحديث إلى أنه لا يجوز التشبيه بين الداعية والنبي بشأن الدعوة ووسائلها وأساليبها. فالأنبياء بشر إختارهم الله سبحانه وتعالى اختياراً خاصاً، ورعاهم رعاية تامة بحيث نشأوا وهم يتصفون بكل الصفات، ويملكون كل القدرات اللازمة للقيام بمهمتهم الصعبة في إيصال دعوة الحق إلى العباد. والقرآن الكريم يحدثنا في آيات كثيرة عن العناية التي اختص الله بها

أنبياءه ورسله حتى ينجحوا في نشر دينه. وهكذا كان الأنبياء والرسل محاطين بالرعاية الربانية قبل الوحي وأثناءه، وبذلك كانت أقوالهم وأفعالهم، وانفعالاتهم وجوارحهم، وسكناتهم، وحركاتهم، كلها في صورة إيجابية لخدمة الدعوة إلى الدين.

أما الدعاة إلى الإسلام اليوم منهم أفراد آمنوا بهذا الدين، وجعلوا مهمتهم في الحياة أن يكونوا مبلغين رسالة الإسلام إلى العباد الذين لم تصلهم الرسالة بعد. إنهم أفراد توكلوا على الله أن يوفق مسعاهم، وهم في نفس الوقت يعلمون أن الله لن ينزل عليهم وحياً، أو يرسل إليهم ملائكة تقود عملهم. إنهم يخوضون الدعوة بواقعية الحياة مستخدمين في ذلك جهودهم البشرية مادية وعقلية وعلمية. وعليه فإن الدعاة يحتاجون إلى استخدم الطرق والوسائل والأساليب التي توصل إليها الإنسان من خلال الخبرة والتجربة في مجال الدعوة، وإلى تلك المعارف والعلوم السلوكية التي تركز على دراسة شخصية الإنسان من حيث خصائصها ونموها وتعديلها.

عمل الداعية

يسعى الداعية إلى الإتصال بأفراد غير مسلمين وتقديم دين الإسلام لهم بيسر وسهولة، وترغيبهم في الإيمان به، واختياره طريقاً ومنهجاً في الحياة. وقد يكون هؤلاء الأفراد من نفس المجتمع الذي ينتمي إليه الداعية، أو من مجتمع آخر يختلف من حيث السكان والثقافة الإجتماعية، وهكذا يمكن تشخيص عمل الداعية إلى المكونات التالية:

1 ـ الداعية شخص مُبلِّغ، أي أنه يبشر أفراداً بخبر جديد عليهم وهو الدين الإسلامي. وهذا يعني أنه يحتاج إلى أن يختار الوقت والمكان المناسبين، وكذلك العبارات الملائمة التي تفتح قلوب المستمعين إلى ما يسمعون، والتي تجعلهم إلى شخص الداعية يطمئنون. وهذه البشرى تحتاج إلى مهارات واستعدادات وتهيئة خاصة.

2 ـ الداعية بائع يبيع للناس أفكاراً وقيماً جديدة عليهم، كما يبيع التاجر بضاعته إلى المشترين. ولذلك فإن ما يشغل الداعية هو كيف يرغب غير المسلمين إلى تقبل الدين الإسلامي وما يحتويه من أفكار وعقائد ومبادىء جديدة عليهم إلى

حد بعيد ومن هنا فإن الداعية يحتاج إلى كثير من المهارات التي يتمتع بها البائع الناجح؛ ولعل من أهمها معرفة الطريقة المناسبة لعرض بضاعته حتى تبدو جذابة ومغرية للمشتري. ومن هنا فإن الداعية يحتاج إلى إتقان الطرق والوسائل والأساليب التي يحقق بها هدفه، وهو إقبال غير المسلمين على اعتناق الدين الإسلامي. إن شخصية البائع، وأسلوب تعامله مع الناس، والصبر على تهيب المشترين وكثرة أسئلتهم، وحسن التحدث معهم هو الذي يجعل الناس يقبلون على هذا البائع، ويبتعدون عن الآخر. إنه مهما كانت البضاعة الجديدة ممتازة، فإن الحاجة قائمة في المرة الأولى على الأقل إلى جذب انتباه المشتري لها وترغيبه في اقتنائها. وبنفس المقياس فإن الشخص الذي لم يعرف الإسلام بعد لا يدرك صدق هذا الدين ، وكماله، وفوائده للإنسان في الدنيا والآخرة.

3 ـ الداعية معلم يعلّم غيره من الناس الذين قبلوا بالإسلام ديناً مبادىء وأحكام هذا الدين ويشرحها لهم بالأسلوب المناسب حتى يتعمق الإيمان في قلوبهم، ويعرفوا قواعد السلوك في الإسلام من جميع الجوانب الفردية والإجتماعية لتكون تصرفاتهم بما يرضي الله، ويخدم مصالحهم ومصالح غيرهم من العباد. وهذا يعني أن الداعية يحتاج إلى معرفة الطرق والأساليب التعليمية الفعالة حتى يستنير بها في شرح مبادىء الدين الإسلامي للآخرين.

4 ـ لكي يجعل شخصاً يتخلى عن اعتقاده السابق الذي ألفه منذ صغره في أسرته ومجتمعه، يعمل الداعية على تغيير اتجاهات الفرد على النحو التالي:

(أ) تشكيكه في جدوى اعتقاده السابق، وتشجيعه على اكتساب مشاعر سلبية نحو ذلك الإعتقاد حتى تتطور هذه المشاعر الى اتجاهات سلبية نحوه.

(ب)ترغيبه في جدوى الدين الإسلامي، وتشجيعه على تنمية مشاعر إيجابية نحو صدق هذا الدين الذي اختاره الله طريقاً لعبادته، وشريعة للفرد في حياته. ويعمل الداعية على تطوير هذه المشاعر لتصبح اتجاهات ايجابية ثابتة عند الفرد نحو الإسلام والمسلمين.

وهذا يعني أن الداعية عبارة عن مهندس للسلوك البشري يستخدم إمكانياته العملية والشخصية في تغيير اتجاهات الأفرادالذين يقابلهم لينقلهم من

خانة غير المهتمين بالإسلام إلى خانة المؤمنين المتحمسين إلى الإسلام. وهو إذ يفعل ذلك لا يختلف عما يفعله غيره من المهتمين في مجال الدعاية سواء كانت دينية أو فكرية أو تجارية أو إعلامية.

5 ـ ومن المهارات اللازمة والتي تدخل ضمن عمل الداعية هو إحساسه بأن الآخرين ينظرون إليه باعتباره «نموذجاً اجتماعياً» في المعيشة، والتصرف، والعلاقات، والتعامل عموماً. وهذا معناه أن دور الداعية لا ينتهي فقط عند مجرد التبليغ للرسالة، بل إنه يستمر معه هذا الدور ما دام يعمل وسط الجماعة باعتباره صورة حيّة لكل ما يدعو إليه. إنه نموذج في كل شيء، وكل حركاته وسكناته محسوبة عليه. وهذا معناه أن الداعية لا يستطيع إن يعيش لنفسه ولو لساعات محدودة، بل عليه أن يعيش « لدوره كداعية» في كل أوقاته. إن أنظار الناس الذين سبق وأن دعاهم إلى الإسلام وأولئك الذين يراقبونه من طرف خفي، تلاحقه في كل حين، وفي أي مكان باعتباره «نموذجاً» لما يدعو إليه. ذلك أن أي اهتزاز في تلك الصورة سيجعلهم يبتعدون عنه إلى الأبد.

6 ـ وآخر جانب من جوانب العمل التي يجد الداعية نفسه فيها هي أنه يضع أهدافاً، ويرسم خططاً لعمله، إنه في ذلك يعمل عملا تخطيطياً استراتيجياً يحتاج منه لأن يكون ذا حنكة وتدبير في عمله: يعرف متى يدعو، ومن يدعو، ومتى يأخذ، ومتى يعطى، ومتى يتقدم، ومتى ينسحب، وكيف يجعل الظروف التي تقابله تعمل لصالحه، أو يجعلها محايدة على أقل تقدير.

وهذا يعني أن الداعية الإسلامي لا يتوقف فقط عند مجرد التبليغ للدين الإسلامي، بل يشتمل أبعاداً كثيرة. فالداعية مبلغ وبائع أفكار، ومهندس للسلوك البشري، ونموذج اجتماعي في المسلك، ومخطط ذو حنكة، ومعلم. إنه عمل شاق وعسير ويحتاج إلى أفراد تتوفر فيهم هذه القدرات إلى حدٍ كبير. وحتى تتكامل الرغبة الشخصية، والقدرة الذاتية مع المعرفة التي تأتي من التعلم والخبرة كان إعداد الدعاة مسألة جدّية غاية في الجدية. وأن تأهيل الداعية للقيام بمهمة الدعوة إلى الإسلام تحتاج إلى معارف أخرى بجانب المعرفة في الدين الإسلامي.

شروط تسبق المعارف

هناك شروط يجب أن تتوفر فيمن يتم اختياره واعداده ليكون داعية إلى الإسلام، وأن من لا تتوفر فيه هذه الشروط لا يستطيع أن يكون داعية ناجحا في عمله مهما درس من كتب، وتعلم من وسائل. إن هذه الشروط اللازم توفرها هي أساسيات لابد منها لكي يقوم البنيان على عمد؛ وهي:

1 ـ الإيمان الصادق بالدين الإسلامي لدرجة تغلغل فيها الإيمان في أعماق العقل والقلب والوجدان بحيث لم يعد يخالج هذا الداعية أدنى طيف من شك، أو أدنى إحساس من ظن. ذلك أنه إذا لم يكن الداعية بهذه الدرجة من الإيمان فإنه لا يستطيع اقناع غيره بهذا الدين، لإن تردده في الاقتناع سيظهر عليه قولاً أو فعلاً، وبذلك يفقد مستمعيه. ومن لا يقتنع نفسه بردائه لا يستطيع أن يجذب الناس إلى ارتدائه.

2 ـ القدرات الشخصية القيادية من صحة البدن، وسلامة في العقل، وذكاء في التصرف، وحسن في المعاشرة وملاطفة للناس، واستعداد لأن يجمع الناس حوله محبين لشخصه متعلقين بصحبته.

3 ـ أن يكون نموذجاً في قوله وفعله، بحيث يراه الآخرون مسلماً في جميع جوانب حياته. لأن الناس يلاحظون في كل داعية مدى تطبيقه في حياته ما يدعو إليه، وذلك رغبة في التأكد من صدقه فيما يدعو إليه. وكما تقول «نظرية التعلم الاجتماعي» فإن الناس يتعلمون عن طريق تقليد ما يعتبرونه شخصيات نموذجية وهي تقوم بسلوكيات معينة في مواقف حياتية تتصف بالتفاعل الإجتماعي.

المعارف اللازمة

بعد أن تتوفر في الداعية الشروط الأساسية السابقة، فإنه بناء على الأبعاد التي تتضمنها طبيعة عمله يمكن القول بـأن البرنامج الدراسي لإعداد الداعية يجب أن يحتوي تلك المهارات المطلوبة منه في ميدان العمل؛ وهي:

أولاً: المعرفة الدينية، وهي اكتساب الداعية القـدر اللازم من الفهم والإستيعاب لمبادىء الدين الإسلامي، وأركانه ، وأحكامه، وخاصة تلك التي

تتصل بضرورة الإيمان بالله، وفضل الله على العباد ورحمته بهم، وواجب عبادته، ومظاهر العبادة وقواعدها، وكذلك المعاملات الإسلامية، وغيرها من المواضيع التي يراها المختصون في الدراسات الإسلامية ضرورية لابد منها. غير أنه يجدر التنبيه هنا إلى أن الداعية يحتاج إلى المعرفة الدينية بالقدر الذي يساعده في عمله كداعية للدين الإسلامي؛ وليس بالقدر الذي يحتاج إليه المتخصص والباحث في الدراسات الإسلامية. إن الداعية مُبلّغ ومبشر بالدين الإسلامي. وليس بباحث متخصص في الدين الإسلامي. إن دوره هنا دور المعلم الذي ينقل المعرفة إلى تلاميذه بدرجة واضحة ومبسطة ومفهومة، وليس دور الذي يصنع المعرفة ويبدعها.

ثانياً: المعرفة العلمية (الاستراتيجية)، ويقصد بها توعية الداعية إلى ضرورة التفكير العلمي المنظم القائم على تحديد الأهداف، واختيار الأساليب المناسبة للوصول إلى الغرض، ووضع الخطط لمواجهة الحاضر والمستقبل القائمة على تحليل معطيات الموقف من حوله بطريقة تقوم على جمع المعلومات، والحس المرهف، والاستنتاج القائم على الدقة في إصدار الأحكام. ولا شك أن مثل هذه المهارات تحتاج إلى التعود عليها من خلال دروس تتعلق بتبيان أهمية المنهج العلمي في التفكير والبحث، وتنمية القدرة على الحنكة (الاستراتيجية) في التخطيط والمناورة مع خصوم الإسلام من الحركات التبشيرية والإلحادية التي تعمل من جانبها لنشر أفكارها. وكذلك الوصول بالداعية إلى القناعة بعدم جدوى الإعتماد على الحظوظية، والقدرية، والعشوائية، والصدفة في نشر الدين .

ثالثاً: المعرفة النفسية، وتهدف إلى جعل الداعية يدرك الطبيعة الإنسانية في حدودها الفردية؛ أي معرفة مكونات شخصية الفرد من دوافع وحاجات واهتمامات واستجابات سلوكية. ويمكن تلخيص المعرفة التي يكتسبها الداعية في هذا المجال في ما يلي:

(أ) يقدم علم النفس إلى الداعية المعلومات التي تجعله يعرف نفسية الأفراد من حيث ما يسرهم وما يغضبهم، وما يجذبهم وما ينفرهم، ومعرفة العوامل التي تؤثر في سلوكهم، وتوظيف تلك المعرفة في إيصال الدعوة إلى عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم.

(ب) يقدم علم النفس إلى الداعية المعلومات التي تجعله على بينة بشأن مظاهر النمو الإنساني اللغوية والعقلية والإنفعالية والإجتماعية، وبذلك يصبح أكثر كفاءة في معاملة الصغار والكبار، الذكور والإناث، وأكثر كفاءة في تقدير ما يتوقعه من الأفراد وهم في اعمار مختلفة.

(ج) يسعى الداعية إلى التغيير في اعتقاد واتجاهات وميول الأفراد الذين يدعوهم إلى الإسلام وذلك يجعلهم يتركون معتقداتهم الأخرى والقبول بالدين الجديد والإيمان به. ولتحقيق ذلك يجد الداعية في علم النفس الإجتماعي خير معين له يساعده على معرفة الطرق التي يتم بها التغيير في الاتجاهات والميول. إن موضوع الاتجاهات وأساليب القيادة، وانتشار التأثير في الأفكار والأنماط السلوكية الاجتماعية تعتبر من المباحث الرئيسية في علم النفس الاجتماعية.

رابعاً: المعرفة الإجتماعية، وتعني أن يصبح الداعية من خلال دراسة علم الإجتماع على دراية بالطبيعة الإنسانية في ظروفها الإجتماعية. وهذا معناه أن يمتلك الداعية في رصيده المعرفي معلومات كافية عن اختلاف الناس من حيث البنية الإجتماعية في ما يتصل بعاداتهم وتقاليدهم وأصولهم العرقية، ومشكلاتهم الإجتماعية، وتحيزاتهم الثقافية، وكذلك معرفة الدور الذي تلعبه النظم والأنماط الإجتماعية في حياة الناس. إن الفرد لا يعيش في معزل عن الظواهر الإجتماعية التي تحيط به، وعليه فإن إدراك الداعية التأثير الذي يتركه المجتمع على الفرد يجعله أكثر كفاءة في الوصول إلى الأفراد، والصبر على بطء تحولهم إلى الإسلام، مع تجنب إقحامهم أو إقحام نفسه في مشكلات مع المجتمع المحيط الذي تتم فيه الدعوة. إن العمل في مجال التغيير في القيم والإتجاهات عمل حساس ودقيق ويعطى نتائجه على مهل، بحيث يتطلب من الداعية التوقع المعقول، والصبر الكبير الذي لا يخلو من التفاؤل، وكسب ود المجتمع المحيط أو عدم استعدائه على أقل تقدير.

خامساً: معرفة الطريقة الصحيحة للتبليغ وشرح الدين وتعليمه والتي تتناسب مع أعمار المتعلمين، ونوع المعلومات المطلوب تبليغها، والموقف الذي يتم فيه التبليغ. وهذا يعني أن الداعية يحتاج إلى تلك المعلومات التي تجعل منه معلماً

ناجحاً في تعليمه الدين الإسلامي للآخرين، وحثهم للإقبال نحوه والإطلاع عليه، وفهمه، والإيمان به. وعليه فهو يستفيد من دراسة العلاقات الإنسانية، وجوانب عملية الإتصال، والتخصصات التربوية المتصلة بطرق التدريس، والوسائل التعليمية معرفة كيف يحدث التعلم، والدوافع إليه، والعوامل التي تؤثر فيه، وكذلك العوامل التي تؤثر على تذكر المعلومات ونسيانها، والطرق الصحيحة والوسائل المناسبة لتوصيل المادة التي يراد تعلمها الى ذهن المتعلم ونفسيته.

ملحوظة

يتضح مما سبق أن عمل الداعية ليس صيداً في بحر، أو زرعاً في خلاء، بل هو عمل يحتاج الى تخطيط وتنظيم ومعرفة بأحوال الأفراد النفسية والإجتماعية، وكذلك معرفة الطرق الصحيحة للترغيب والتعليم. ولا يعني هذا أنه يلزم أن يحتوي برنامج اعداد الدعاة على جميع هذه العلوم والمهارات دفعة واحدة. ذلك أنه يمكن تقديم هذه المعارف خلال الإعداد وبعده على شكل دورات وندوات وحلقات نقاش علمية. كذلك يتضح مما سبق أن المعرفة الدينية وحدها ليست ضمانا لنجاح الداعية في عمله. إن نجاح الحركات التبشيرية والإلحادية في العالم يرجع إلى حد كبير لاعتماد هذه الحركات على استخدام نتائج العلوم الانسانية في عملها. كما تجدر الإشارة إلى أن هذه المعارف والعلوم لا تفيد شيئا إذا لم تتوفر في الداعية الشروط الأساسية وهي الإيمان بالإسلام، والحماس في الدعوة إليه، والتحلي بالصبر والنفس الطويل في حصد النتائج.